

بسم الأب والابن والروح القدس

إله واحد. أمين

أسم الكتاب : إنسان كان له ابنان

أسم المؤلف : همسات حية

الناشر : همسات حية

جميع حقوق الطبع محفوظة للموقع فلا يجوز
اقتباس أو إعادة نشر أو أي جزء منه بعرض الأتجار و
للناشر وحدة حق إعادة النشر و الطبع

يطلب من

www.hamsat-haya.org

- 2 -

إنسان كان له ابنان

بقلم

همسات حية

www.hamsat-haya.org

همسات حية
Alive Whispers

- 1 -

وهذا هو المثال الذي غير حياة أناس
كثيرين ليعودوا لأحضان سيدهم وربهم
يسوع المسيح ..

فتعال معي لنبحر فى كلماتها وليهبنا الله
نسماته الحية لتدفع شراع سفينة تأملنا ..
مصلياً من كل قلبى أن يستخدم الرب هذه
الكلمات البسيطة ليحولها بنعمته إلى
بلسان شاف لكل من يقرأ ويفهم ..

المؤلف

- 4 -

مقدمة

قد يعتقد البعض أن الجزء الأخير من
الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا
يحمل قصة معروفة جداً، لذا اعتبرت من
المواضيع المحفوظة، فنذر الوعظ بها،
لكن الرب قد أرشدنى مؤخراً للوقوف ملياً
أمام هذه القصة ... قصة الابنين وأبيهما ..

ولقد صرفت شهوراً كثيرة وأنا مأخوذ
بروعتها، فقد رأيت فيها محبة الله التى
دفعته للتجسد ثم الفداء، وأعتقد أن هذا
الجزء من (لو 15) حمل تلخيصاً لخطة
الله الأزلية فى صورة مثلى رائعة لم يكن
ليصوغها أحد بهذه الروعة سوى الرب
نفسه .

- 3 -

الفصل الأول

بداية الانحدار

يقول الكتاب المقدس "إنسان كل له ابنان" ولعلنا نلاحظ أن الكتاب لم يشير إلى الأشياء العظيمة والتمينة التي كانت لدى هذا الإنسان من بيوت وأراض وحقول وخدم وعبيد. وذلك ليفسح المجال لأثمن شئ بالنسبة له وهو أبناءه .. لكن .. هل كان أبناءه متشابهين؟؟ .. لست أعتقد ذلك، فالأكبر يبدو أنه يميل للهدوء والرتيب والطاعة غير المتفانية، فهو يعمل في حقل والده راضياً بواقعه ووضعته الذي أوجد فيه لكن بغير اقتناع، لكننا نجد على الجانب الآخر مندفعاً وأنانياً، فهو يشبه الريش الذي تحركه الرياح كيفما تشاء، ولنا معه وقفة خاصة فيما بعد .. أما

- 5 -

الأصغر فكان ميالاً للإسراف والإنفاق الشديدين .. لكن أى إسراف يا ترى؟ هل المال فقط؟ لم يكن المال فقط بقدر ما كان مسرفاً فى أفكاره التى كانت تتأرجح بين خيال الشباب بصورته البراقة وبراعة الواقع فى شجب هذه الخيالات. كان الأصغر كثير الصداقات والأصحاب "المكثر الأصحاب يخرب نفسه" (أم 18 : 24) وهذه هى بداية الانحدار. فكان يرى أن خارج البيت هو مكانه الحقيقى حيث أصحابه، لأن شعوره بأنه تحت سلطة أبيه كان يقلقه، فقد سمع عن الحرية من أصدقائه وكيف أن من حقه أن يعيش وماله بماله خصوصاً وهو ابن لرجل غنى وكريم .

- 6 -

رجل لا يزال حياً بعد هذا الابن أراد أن يرث أباه وهو حى وكأنه لم يضع له أى اعتبار، فموت أبيه يتساوى بحياته فى نظره ..

ألسنا نحن كذلك نبدو أحياناً مثل هذا الابن نحاول أن نفرض سيادتنا على سيادة الله، فهو يقول شيئاً ونحن نفعل شيئاً آخر يحقق لنا سيادة وقتية زائفة سرعان ما تذوب ويختفي بريقها ويتبقى الخزي والعار؟.

فيالها من رغبة فى الثورة على أوضاع مريحة أصلاً .. لكن قلب الأب الذى لا يمكن أن يتبرأ من العدل والمحبة تحمل هذه الإهانة، وأراد أن يعطى فرصة خاصة لابنه لعله يصلح من أفكاره هذه

- 8 -

وهنا بدأت أفكار الابن الأصغر تدور على محور اسمه الحرية المسموحة، والتي سولت له أن يهجر بيت أبيه ويتاجر بماله الذى سيأخذه من أبيه فيصير مثل أبيه .. وهنا ليس فقط تسقط سيطرة الأب عنه .. بل يعيش بحرية دون أن يكون تحت طائلة أحد .. لقد كان متبرماً على وضعه لذا عزم على فض هذه المشكلة، إلا أن الحل الوحيد الذى كان فى مخيلته هو الانسلاخ عن بيت أبيه .

لحظة انفصال :

ذهب الابن إلى والده وقال له "يا أبى أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال". يا ترى هل تتخيل وقع هذه الكلمات على

- 7 -

بعد أن يهبه الجزء الخاص به من الميراث، وأتصور هنا أن الأب استدعى ابنه الأكبر والأصغر معاً ..

الأول لم يرد أن يهجر أباه وذلك ليس حباً فيه بل لأنه تعود على هذا الوضع، أما الثاني فأخذ نصيبه من المال وخرج خارجاً .. وصارت هذه طعنة غادرة فى صدر الأب الحنون ..

انتظر الأب لعل الابن يعود إلى رشده ويترك فكرة ترك البيت لكن دون جدوى .. ويقول الكتاب "بعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شئ وسافر إلى كورة بعيدة" .

كثير منا يعبد الله ليس حباً فيه بقدر خوفه من أن يقطع القوت عنه وهذا جهل، فالابن الأصغر بمجرد أن أخذ نصيبه سافر تاركاً أباه دون وداع، وكم من نفوس تنسى الله وتتجاهل مشهد الصليب الملتخ بالدماء عندما تقبض أصابعها حفنة من الأوراق الخضراء "ولما أشبعهم زنوا" (إر 5 : 7) .

إن وجود مال فى حوزتك يجب أن يتساوى مع عدم وجوده معك، أو بمعنى آخر يجب أن لا تضع قلبك وحياتك على هذا المال وتنسى واهبه الحقيقى لك ..

إذا عشت لأجل المال فستكون عبداً له وسيقيد حياتك بأغلاله .. أما إذا كنت ممن تقابلوا مع الرب يسوع فإن المال يجب أن

بغناصرها .. ونرجع إلى الابن الأصغر فهو قد أعد عدته وجمع كل ما يتعلق به وما يجعله يرتبط بالبيت من ممتلكات وأشياء خاصة وكأنه يريد الاقتلاع من مسكن أبيه. "وسافر إلى كورة بعيدة". وهل يفلح أن ينقل نبات ما من تربته الخاصة التى نما فيها إلى تربة تختلف تمام الاختلاف عن تربته الأصلية؟ وماذا يا ترى سيكون مصير هذا النبات؟ الفشل والموت، نعم لقد كان الابن الأصغر يعتقد أنه سينجو من تحكم أبيه لذا اختار كورة بعيدة ليذهب إليها وذلك لينقطع اتصاله بأبيه تماماً فلا يعود يرى أحداً من أقاربه وكأنه يحتقرهم جميعاً .

يكون بالنسبة لك وسيلة وليس غاية، وعليك أن تستخدمه للوصول إلى أهداف وغايات تعود بالمجد للرب .. ولقد أشار رب المجد إلى تحويل أفكارنا من الكنوز الأرضية إلى البنوك السماوية لأنه لا يمكن لنا أن نجرى ونتعب وراء حفنة من أوراق من صنعة الناس ونترك محبة قد تفاضلت جداً ..

ومن المعروف أن الشخص الغريب فى بلد ما لا يشتري بيوتاً أو كنوزاً لأنه يعرف أنه يوماً ما سيرحل .. فيجب أن يضع المؤمن فى قلبه أن الحياة لحظة إما فاز بحب الله ومجده وهنا يتحقق له قول الرب "فأورث محبى رزقاً وأملأ خزائهم" (أم 8 : 20) وإما ضيع لحظته فى جمع ثروة تفنى مع الأرض المحترقة

الفصل الثانى

فى الكورة البعيدة

ويأتى عمل الجراد :

ولكن هل أصاب الابن الأصغر النجاح فى كورته البعيدة؟ "وهناك بذر ماله بعيش مسرف". وهنا وصل إلى قمة الانحدار، فقد أراد أن يعيش الحياة بطولها وعرضها كما يطلو له فاتسعت حفرة الإسراف التى كانت عنده من قبل لتصبح هوة عظيمة لابتلاعه .

أخى .. لا تترك نفسك لأية فكرة سيئة حتى ولو كانت بسيطة لأنها قد تتطور

- 13 -

صغيرة تسقط فى قارورة طيبك لنلا تخسرها وتخسر رائحتها إلى الأبد .

وكما يقول الكتاب "إذا كثرت الخيرات **كثُر الـذِين يأكلونها**" (جا 5 : 11). وأعتقد أن من ساعد الابن الأصغر على ذلك هو وجود أصدقاء السوء والزوانى اللذين اجتمعوا حوله كاجتماع النسور على جثة ميت .. حيث عرفوه بكافة الأساليب التى تستنفذ ثروته ومبادئه ليس فقط بل وتربيته بقيمتها ومثلها فى لحظات معدودة .

ولست أعرف بالتحديد المدة التى استغرقها فى إهدار ماله لكنى أعتقد أنها ليست بالطويلة. ويقول الكتاب .. ولما أنفق كل شئ حدث جوع شديد فى تلك

- 15 -

وتصبح وحشاً يلتهمك، هل تتذكر يهوذا الاسخريوطى؟ لقد بدأت فاجعته بفكرة صغيرة وهى أن يصير مسئولاً عن بيت المال فى مملكة يسوع التى كان يظن بأنها أرضية. فبدأت هذه الفكرة تحركه فجعلته أميناً للصندوق إلا أنها لم تتحقق فبدأ فى سرقة الصندوق ولم توقفه هذه الفكرة عند هذا الحد بل تجاوزت به إلى الهيكل ليتفق مع كهنته على تسليم الرب يسوع وذلك عندما وجد أنه ليس حياته له لتحقيقها.

وقد انتهى أمره بشنق نفسه .. فيا لها من فكرة كانت صغيرة فى البداية لكنها فى النهاية أرسلت بصاحبها إلى الجحيم. **"الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار" (جا 10 : 1)** فلا تستهن بذبابة

- 14 -

الكورة. **"يا أبنى اخش الرب والملك. لا تخالط المتقلبين لأن بليتهم تقوم بغتة"** (أم 24 : 21 - 22). لقد نفذت أموال الابن - وبعدما صارت الجثة عظماً طارت النسور - ويبدو أن يحاول الاستدانة لتغطية مصاريفه الباهظة لكن أحداً لم يعطه شيئاً وذلك ليس لأنهم قساة أو أغراب عنه فقط بل لأنهم يواجهون نفس الحالة من العوز والقحط. حيث أن مجاعة شديدة قد اكتسحت البلدة فلم توجد حتى كسرة خبز باقية لتسكين معدة مخلوق .

ماذا حدث؟ وكيف حدث ذلك؟ لعل الابن الضال سأل نفسه عندما رأى هؤلاء المتقلبين الذين كانوا يلتفون حوله منذ أيام قليلة قد انقلبوا عنه ويحولوا له الفقفا

- 16 -

ليبحثوا لهم ولأولادهم أيضاً عن الطعام،
وهنا أدرك الابن أن هؤلاء الأصدقاء
ليسوا إلا مثل جماعة من الأخيلة "النفوس
المتراخية تجوع" (أم 19 : 15) .

خارج الدائرة :

يقول الوحي "فابتدأ يحتاج". فلاشك أن
هذه حالة طبيعية جداً تحدث لكل شخص
منفصل عن بيت الأب وحمايته وأمنه.
وكلمات الوحي السابقة تذكرنا بكلمات
متشابهة في (مت 14 : 30).

"ولكن لما رأى الريح شديدة خاف
وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يارب نجنى"
كان صاحب هذه الكلمات هو بطرس الذي
وصل إلى قلب دائرة الإيمان واستطاع أن

يقف ويمشى على المياه لكنه لما أخرج
نفسه من دائرة الإيمان اليقينية إذ نظر إلى
قدراته والموقف الصعب الذي يجتاز فيه.
ابتدأ يغرق. كذا كان هذا الابن في دائرة
أبيه يتمتع بالحماية والأمن والبنوة لكنه لما
أخرج نفسه من دائرة أبيه فقد كل اليقين
والضمان وابتدأ يحتاج لمن يساعده.

أدرك الابن الفرق بين وجوده في بيت
أبيه في مكانه الأصلي الذي أوجد فيه
وبين تلك الكورة الجائعة والتي أصبح
يعامل فيها معاملة أقل من معاملة الكلاب
.. فمن الطبيعي عندما كان يحتاج وهو لا
يزال لدى أبيه كان الأب يسدد. أما الآن
فهو منفصل عن أبيه وليس له خل يمد يد
المساعدة، والذي زاد من تخرج الأمر
بالنسبة له ثمة فيضان في داخله يسميه

أذنيه. "يا بنى متى أردت أن تعود إليّ
فستجدي في انتظارك. تعال كما أنت فأنا
سأظل على حبي لك إلى الأبد. لا تتأخر
حتى لا يفوت الأوان".

إلا أن شعوره القاسى بالضيق أجبر
الدموع أن تسيل منهمة على وجنتيه
الملطختين بالطين والأتربة. أراد أن
يمسح دموعه لكنه لم يجد ولو قطعة
صغيرة من القماش النظيف معه إذ كانت
كل ثيابه مهلهلة متسخة .

الكتاب فيضان الكبرياء (أم 21 : 24)
وذلك كان يمنعه من الاعتراف بخطئه
ومن ثم اللجوء إلى أبيه. يا لها من مأساة
أطبقت بأنيابها على رأس هذا الشاب
المسكين الذي خدع يوماً من أفكاره .

أتخيل أن الابن المدلل بحث عن أحد
ليساعده فلم يجد فبدأ في محاولة الاعتماد
على نفسه - وهل نفس محطمة مثل هذه
تشعر بالاغتراب والعجز وعدم الأمان
يمكن الاعتماد عليها؟ وذلك بعد أن قرص
الجوع معدته. فذهب لأصحاب العمل
الذين لم يمهلوه فرصة التحدث معهم بل
بادروا بطرده وإلقائه خارجاً قائلين له
"ليس لدينا مكان لجائع جديد". أظلمت
الدنيا في عيني الابن الضال وترددت
كلمات أبيه والتي كانت لا تزال ترن في

شعور بالأسى والحيرة :

تعب الابن المسكين من السير فى الطرقات شبه المهجورة إلا من عابر بين الحين والآخر، تلك الطرقات نفسها التى كانت تعج بالمارة والبضائع قبل أيام قليلة. فكر أن يستعطي لكنه طرد هذه الفكرة تماماً عندما تذكر أنه ليس لأحد دينار يهبه له فى ظل هذه الظروف قال متمتماً "يا لى من مجنون" ثم جلس تحت شجرة ذبلت أوراقها وجف عودها وتقرش ليستريح من المعاناة بعض الشئ. وكذلك ليحاول أن يستجمع قواه الذهنية لإيجاد حل لتلك الطامة التى حلت به .. وبدأ يعتمر ذهنه فهو يشعر بانعدام الاتزان لنفسى فى هذا البلد الغريب فلا أحد يعرفه

- 21 -

أو يلقى عليه الحية مثلما كان يحدث فى بلدته، وكذلك معاناته من اختلال الناحية الروحية لحياته بعد انفصاله عن أبيه وأخيه .

عثت الأفكار يميناً ويساراً بعقل الابن. فيا لها من فكرة مجنونة عن الحرية التى بنت أعشاشها فى ذهنه. وها قد أصبح مثل تلك الشجرة التى يستند إليها ذابل وممزق النفس .

وهنا بدأ سؤال جذرى يدوى فى رأس الابن .. أما من حل لذلك؟ كيف أسد جوعى وأملأ معدتى الفارغة؟

هل تعرف كيف أتخيل الخطية؟ أتصورها كقرص المنشار ذى الأسنان

- 22 -

البارزة لقطع جذوع الأشجار. هذا القرص يدور بالكهرباء من تلقاء نفسه فى مجال معين ليمزق وييتز كل ما يدخل فى مجاله. تخيل هذا القرص وقد انقلبت من محوره ليسبح فى الهواء بصورة عشوائية داخل غرفة مثلاً .. توقع معى مقدار الخسائر الجسيمة التى سيحدثها هذا القرص إذا كان هناك أناس فى هذه الغرفة .

اللجوء لطريق خاطئ :

بعد كل ما مر به الابن كان يجب أن يسرع ويفكر جيداً ويحكم ضميره فيما هو فيه. لكن ضميره كان معطوباً كالعين الرمداء لا يبصر جلياً لأن ضباب

- 23 -

الكبرياء كان يحجب عنه الرؤية فيجعلها مستحيلة تماماً.

قد غرس الله فىنا الضمير ليكون بمنزلة العين للجسد، فقد أعطى الله تعالى لنفوسنا هذا الضمير ليكون بمثابة الضوء الأحمر الذى يظهر عند فعل الخطية ..

لذا فقد كان ضمير الابن فى البداية يعذبه لكنه استطاع أن يصيبه بالشلل. قال الرسول بولس عن بعض الضمائر فى (1تى 4 : 2) إنها موسومة. ومعنى الموسوم هو المكوى بحديد محمى بالنار فمات الإحساس فيها مثل الجلد تماماً عندما يحرق بالنار .. كان على الابن الأصغر أن يتخلى عن كبريائه الذى هو نفسه الحديد المحمى بالنار فيجد خطيته

- 24 -

ويتركها فيرحم قبل فوات الأوان قبلما تجده خطيته فيكون الموت الأبدى مصيره ..

وهنا بدأ الابن الضال يحاول أن يجد طريقاً آخر غير طريق العودة إلى بيت أبيه، وقد تذكر شخصاً قد ساعده على السفر إلى تلك الكورة مقابل بعض المال، فعزم من قلبه أن يذهب إليه لعله يجد عنده عملاً .. فذهب إليه لكن الرجل أعرب له عن عدم وجود أى عمل لديه. وهنا انخرط الابن في البكاء كالأطفال أمام الرجل وسقط على الأرض ممسكاً بتلابيب ثيابه قائلاً له "يا سيدي .. أرجوك إنى أريد أن أعمل أى عمل يمكننى من وضع طعام فى فمى". لكن الرجل نظر إليه فى ازدراء كامل وقال له "لست أعتقد أنه يوجد لدى عمل لرجل يبكى إلا فى

- 25 -

سوى شئ واحد ألا وهو قوله بذلة وانكسار "موافق" .

هل رأيت نتائج الخطية وكيف أنها تدفع الشخص إلى الحضيض فيرى مبادئه التى كانت فيما مضى نبراساً يستنير به أموراً رجعية تافهة غير مجدية؟

ويصدق قول الحكيم "النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجائعة كل مر حلو" (أم 27) .

فى حقل الخنازير :

جلس الابن المسكين على صخرة ملطخة بالوحل وبدأ يفكر "يا ترى هل هذا

حقولى لى حيث مراعى الخنازير". كان وقع كلمة "الخنازير" على أذن الابن وقع الصاعقة إذ كان يحتقر الخنازير ويحتقر أيضاً أكلها حيث إنه فى فترة وجوده فى بيت والده لم ير طوال حياته خنزيراً واحداً، وذلك لأن تجارة الخنازير كانت محرمة حينذاك .. ولم يكن أبوه يفعل أى شئ محرم ..

أدرك الابن أنه يسير فى الاتجاه المخالف لكن ثمة سؤالاً كان يفرض نفسه عليه "ألا يوجد غير هذا الطريق المخالف على أن أرتاده" 11؟ وهنا أفاق من تفكيره الذى استغرق لحظات بسيطة على صوت الرجل يصيح به "هل تذهب لرعايتها؟" لم يكن حينذاك أمام الابن

- 26 -

وضعى الطبيعى؟ كيف أصير كذلك وأنا فى الأصل صاحب مكانة سامية حصلت عليها بمولدى فى بيت أبى؟"

لقد كان لدى الابن رغبة عقلية قوية فى الرجوع إلى بيت أبيه لكنه للأسف لم تتحول وتنضج بعد لتصير رغبة قلبية بسبب الكبرياء التى كانت تخدر عواطفه ومشاعره ليصحبها فى قالب جامد يابى بشده الاعتراف بالخطأ .

وهناك فكرة كم أود أشرحها لك عزيزى القارئ. ولنبدأ بالشق الرمزي منها والذى سيقودنا تدريجياً إلى الروحي .. لتتخيل أن كيان الإنسان هو مكتب حكومى كبير مكون من عدة غرف أبرزها ثلاث تلك التى يركز عليها العمل

- 28 -

- 27 -

.. لنسم الغرفة الأولى العقل (الذهن)
والثانية القلب (المشاعر والأحاسيس)
والثالثة (الإرادة) .. والعمل فى هذه
الغرف الثلاث يعتمد على ارتباطها
ببعض لكن ثمة إهمالاً أو تراخياً يدفع
أصحاب هذه الغرف الثلاث أن يطلبوا
ساعياً ليخدمهم ويشعرهم بسيادتهم فى
مكاتبهم هذا الساعى اسمه الكبرياء ليقدم
لهم المشروبات ويعظمهم بقوله سيادتك
وسيادتهم .. أما عن طبيعة العمل فى مثل
هذا المكتب الذى يوجد فيه الساعى فهى
كالتأتى .. أولاً تصل الأوامر الإلهية إلى
شباك العقل لكى يقرأها ويضعها فى إطار
أو ملف خاص أرشيفى ليقدمها للقلب
صاحب الغرفة المجاورة . لكن ما أبعد
المسافة بين غرفة العقل وغرفة القلب ..
ونظراً لأن العقل يعتقد فى عظمتة ورفعته

- 29 -

فهو يسلم الأوامر فى الملف للساعى
(الكبرياء) ولأن الساعى لا يريد أن يتعب
(القلب) فى التصديق على هذه الأوامر
التي تحد من سلطانه فهو لا يقدمها لغرفة
القلب بل يضعها فى سلة المهملات (طى
النسيان) فى منتصف الطريق بين
الغرفتين .. وبذلك لن يصدق عليها القلب
ولن يأمر أن ترسل لمكتب الإرادة لتنفيذها

إذن المشكلة تكمن فى وجود مثل هذا
الساعى الخبيث الذى يتملق القلب والعقل
ويشل الإرادة .

فإرادة الابن كانت عاجزة تمام العجز
عن أن تحرك لأنها لا تقوم بأى نشاط
مدفوع من نفسها دون القلب .

- 30 -

ويؤيد الكتاب المقدس هذا فى (2كو 3 :
13 - 16) حيث يتكلم الرسول بولس عن
اليهود الذين "أغلظت أذهانهم لأنه حتى
اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد
العتيق باق غير منكشف الذى يبطل فى
المسيح لكن حتى اليوم حين يقرأ موسى
البرقع موضوع على قلبهم ولكن عندما
يرجع إلى الرب يرفع البرقع" .

وأقول أن كلمته "أغلظت أذهانهم"
تعنى أنها قد منعتهم من نزع البرقع أى
الكبرياء عن قلوبهم فلذلك هم بعيدون عن
استنارة إنجيل المسيح .. فلاحظ كلمات
الوحي "موضوع على قلبهم" أى إن هذا
البرقع مكانه فى قلوبهم والبرقع فى معناه
المادى هو غطاء الوجه .. وكان الكبرياء

- 31 -

قد أحاطت قلوبهم من كل ناحية لتخفيها
تحت لجة من الظلام ..

هكذا كان الابن الأصغر يعانى من
كبرياء نفسه .. تلك الكبرياء التى كم
يكرها الله .. "الله يقاوم المستكبرين أما
المتواضعون فيعطيهم نعمة" (1بط 5 :
5) "مخافة الرب بغض الشر الكبرياء
والتعظم" (أم 8 : 13)

أما لا أعرف إذا ما كان على قلبك
برقع أو لا لكنك إذا كنت أميناً مع نفسك
فابحث إذا ما كان هناك قيد يحيط بدائرة
قلبك ويمنعك من أن تتخذ قراراً صائباً
يمس مصيرك الأبدى برمته ..

- 32 -

من فضلك حاول أن تحطم هذا القيد أو تلك البراقع الموجودة في حياتك لكي تفكر بصورة سليمة فيما يتعلق برجعك إلى الله القدير الذي ينتظرك فاتحاً ذراعيه لك أن تعتقد أن هذا الكلام كتب فحسب .. هذا هو كلام الله الموجه لك أنت بالذات .

فالحق أقول لك إنك لن تستطيع التخلص من تلك الكبرياء ما لم تطلب قوة عظيمة تقبض عليها وتحطمها .. أنا متأكد أنك تعرف ماهية هذه القوة .. نعم إنها قوة التسليم التي يمنحها الرب لكل من يطلبها . لقد كان الابن يعطى الخرنوب للخنازير لتأكل ورغم ذلك لم يجد أحداً ليعطيه هو .. ففي المرة الوحيدة التي أراد فيها أن يسرق بعض الخرنوب القدر الساقط من الخنازير - على الرغم من علمه أنه

- 33 -

ويطعمني أما أنت فلا تزال جائعاً ولا تجد من تتسول منه".

كان الشاب يعلم جيداً أن كبريائه تحول دون رجوعه إلى أبيه، تلك الكبرياء المدفوعة بالخوف من المواجهة والممتزجة بالذنب لتركه البيت .. وما أشبع شعوراً مثل هذا على النفس البشرية ..

كان على الابن أن يحسم موقفه ويقضى على خوفه الذي يدعم كبرياءه .. نعم كان خليقاً به أن يلتزم الشجاعة والاستماتة في سبيل تخلصه من كبرياءه .. فكر الابن هكذا ماذا لو أن خنزيراً من تلك التي كان يرعاها شرد عن الحظيرة وغاب بعيداً

- 35 -

يسبب الآماً شديدة في البطن فور تناولها وجد الرقيب الذي يقول له "أيها الشقي لو رأيتك مرة أخرى تمد يدك بأية قطعة من الخرنوب إلى فمك لحرثت ظهرك بهذه العصا .

هل تحب أن تشعر بمثل هذا الشعور؟؟ إنه شعور قاس بالاحتياج في كورة الجوع قد عاشه الابن الأصغر بالرغم من أن هناك أباً كريماً لا يزال يقول له "عندى الغنى والكرامة" (أم 8 : 18) .

ويعود الوعي بعد صراع :

مرت الأيام على الابن الذي كثيراً ما كان يجلس متأملاً الخنازير التي كانت كأنها تشير إليه وتقول له "أنا أفضل منك بكثير فهناك من يسهر على راحتى

- 34 -

سوف لا يهتم به أحداً وسيموت لكنه مادام ضمن القطيع فهو يتمتع بالطعام والأمن .. وهنا أدرك الابن مغزى وجوده في دائرة أبيه .. لكنه مازال يعاني من كبرياء قلبه إلا أنه رفع عينيه إلى السماء معلقاً نظره بها فراق له صفاؤها، فعاد بذاكرته إلى بيت أبيه للحظات وبدأ في حديث مع نفسه .. علام كبرياؤك يا نفسى .. علام تتصلفين في رأيك بتصلف فتمنعينى من العودة إلى بيت أبى .. هل أنت مستريحة هكذا وسط هذه الحالة المزرية. فلقد أصبحت أحقر من أقل أجير عند أبى. حتى العبيد عند أبى يأتذرون بملابس نظيفة تسترهم ويأكلون أكثر بكثير جداً مما أكل أنا. حتى إن الخبز يفضل عنهم. نعم يا نفسى كفاك عصياناً على فأننا الضحية فلا تتباهى بما لا تملكين فأننا

- 36 -

هالك هنا، فوجد كبريائه عاجز عن الدفاع
عن نفسه فطأطأت الكبرياء رأسها
وخرجت خارج أعماقه بعد اعترافه هذا
وللوقت عادت الحساسة لضميره مرة
أخرى بعد غيبة ..

وأعتقد أن دفعة الشجاعة التي واكبت
الابن في معركته مع كبريائه كانت نتيجة
ابتهالات أبيه المحب الذي كان على
الجانب الآخر يتحرق شوقاً للقائه ..

وهنا عزم أن يصلح الخطأ الذي سقط
فيه ويعود إلى بيت أبيه مهما كلفه الأمر
من إنكار لذاته، ولذلك ليستسمح مستنداً
على حب أبيه قائلاً "يا أبى أخطأت إلى
السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن
أدعى لك ابناً اجعلنى كأحد أجراك" وكان

معتقداً أن أباه سيكون فى غاية الكرم
والعطف إذا قبله كأحد خدمه الموجودين
فى البيت .. بيد أن الابن لم يزل يحتفظ
بقدر كبير من الجهل برصيد أبيه الحقيقى
من الحب ..

إن الابن الأصغر هو الصورة الرمزية
الرائعة لما يحدث لكل خاطئ فى الكورة
البعيدة. فخليق بنا أن نعرف أن الذى
يحسم الصراع بين الخاطئ وكبريائه هو
الانصياع لصوت الله الواعد بالراحة ..
لقد انقطعت الأصوات على مسامع
الابن الأصغر فى الكورة البعيدة إلا
أصوات الخنازير .. إلا أن صوت
الرجوع كان يعمل فى داخله ..

فهل سمعته وهو يتكلم على فم ريشاقى
رجل ملك أشور (إش 36 : 18) "لا
يغركم حزقيا قائلاً الرب ينقذنا هل أنقذ
آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد
أشور". كلنا لا يجهل أن الأب الذى فى
(لو 15) أب مختلف جداً عن أى أب آخر
فهو ذو قلب رقيق جداً، يتألم ويحب
ويسمع تعثر خطواتنا لأنه رمز الأب
السماوى الذر سر أن يركض متحنناً على
أولاده البعدين ..

ولعل خاطراً جاء إلى ذهن الابن
"انتظر فى هذه الكورة قليلاً سوف ترجع
إلى رخائها المسلوب منها وكذا سوف
تصيب الغنى مرة أخرى .. لكن الألم فى
حياة الابن قد عزف ألحانه الرخيمة على

كم من مرة يقول لنا الرب "تب
وارجع" فيأتى الشيطان ليشتكى علينا
فيبيت فى مسامعنا سهام اليأس والإحباط
مثل "الله لم يقبلك .. هل فرغت الأرض
من أولئك الذين هم أفضل منك ليقبلك
أنت؟! يا لك من ساذج".

وبذا يغلف إبليس قلب الإنسان الخاطئ
بالجهل بحب الله العظيم الذى تجلى فى
أبهى صورة فى المسيح يسوع الذى مات
لأجل أشر من فينا وليس لأجل أفضلنا ..
مات لأجل الأموات بالخطية وقام لأجل
أن يعطيهم حياة أبدية .. لكن الشيطان هو
الشيطان يستخدم حيله القديمة البالية فى
إبعاد كل خاطئ عن طريق الخلاص
بسهام الشك فى حب الله ..

قيثارة تصميمه على العودة فجعله يسد
أذنيه عن هذه الفكرة العقيمة ..

ونرجع إلى ما نادى به ربشاقى على
مسامع شيوخ اليهود بلغتهم لتعبيرهم فقد
وعدهم إن انقلبوا ضد حزقيا ملكهم وإلهه
– إذا جاز التعبير – واتفقوا مع ملك أشور
(الشیطان رمزياً) "حتى أتى وأخذكم إلى
أرض مثل أرضكم أرض حنطة وخمر
أرض خبز وكروم" كان الشعب حينذاك
أمام اختيار صعب لكن صوت الملك
حزقيا قال لهم "لا تجيبوه" فسكتوا ولم
يجيبوا ربشاقى بشئ".

هكذا تماماً كان الابن يعانى صعوبة
اتخاذ القرار .. أيرجع إلى أبيه أم يتحمل
إلى أن يأتى الفرج؟.

- 41 -

روحى فى الإنسان إلى الأبد" (تك 6 :
3) .

لذا نجد الابن يقرر أن يقول لأبيه
"أخطأت إلى السماء" فهو يعتبر أن ما
فعله هو إهانة عظيمة لإله السماء قبل أن
تكون إهانة شخصية لأبيه. فالرب يسوع
يريد أن يعلمنا أموراً وعقائد حقيقية من
خلال هذا المثل المبارك، منها أن لا
نتناقش مع إبليس أو نتحاور معه لأن فى
ذلك مسلكاً يؤدي إلى المهادنة والتهاون
فى الوصية وعدم اتخاذ قرار مصيرى.

ماذا أقول لأبي :

لكننى أعتقد وذلك ولو سلمنا بأن هذا
المثل الرمزي كان يعنى فى نظر الله
حقيقة معينة وهى دخول الأمم تحت مظلة
بنوية الله والفداء بأبنه وعطية الروح
القدوس أن الله قد حسم الصراع فى حياة
خاطئ كورة الخنازير. "وهنا لا يمكن أن
نحس بالحق دون النعمة، فإله يرسل
روحه الخفيف النشيط السماوى ليخرج
النفس التى غطست فى مياه الإثم بواسطته
ويصيرها خفيفة فيغير من طبيعتها
الأصلية تغييراً كاملاً فإنه حتى الزناة
والعشارين لا تهدأ النعمة من أن تدعوهم
وتوقظهم وتجذبهم للتوبة وتذيقهم طعم
الحياة الحقة "حقاً .. فالروح القدس يدين
فى الإنسان الخاطئ لكن ليس للنهاية بل
يتوقف إذا تجاهله الخاطئ تماماً "لا يدين

- 42 -

فكر الابن فى اختيار كلمات خاصة
ينطبق بها لأبيه لعل قلبه يرق ويغفر له
بحب ..

لم يكن الابن على ثقة وافرة من غفران
أبيه، لذا نجده يعد له كلاماً يحمل تشككاً
من جهة حبه "أقول له يا أبى أخطأت إلى
السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن
أدعى لك ابناً اجعلنى كأحد أجراك"
(لو 15 : 18، 19) .

أخطأ الابن إذ اعتقد أنه لن يحظى
بالمكانة التى كان عليها فى بيت أبيه قبل
رحيله. وقد فكر فى أباه سيصبح فى غاية
الكرم إن قبله كأحد خدمه الموجودين فى
البيت. وكيف يصير الابن عبداً .

- 44 -

- 43 -

أخى .. إن صارت نفسك أمامك بلا قيمة فهي في نظر الله شئ مختلف تماماً. لقد رأت عروس النشيد نفسها سوداء كخيام قيذار تلك الخيام التي تبدو متربة ذات منظر كئيب لكنها عادت بكل يقين تقول "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيذار كشقق سليمان. لا تنظرن لكوني سوداء لأن الشمس قد لوحنتي" (نش 1 : 5 - 6).

ولم ترد أن تقول عروس النشيد سر جمالها محتفظة به لمن يسألها عنه .. لكن بنات أورشليم لم يسألنها .. قالت عن نفسها أنها كخيام قيذار الكائنة وسط إسرائيل الملتفة حول خيمة الاجتماع أو مسكن الله. لذا فهي تستمد جمالها من الاقتراب من الله. وقد صار لها اسم ووزن

- 45 -

"اللهم ارحمنى أنا الخاطيء". أتعرف ماذا يقول الكتاب عن ذلك الشخص؟؟ إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك الفريسي الذي اتكل على كلماته والتي تحمل صلاحه وبره الذاتي".

إن كنت تنوى حياة التوبة. فارجع الآن. قل له .. أخطأت يا أبى فى حقك وق علمت أن البعد عنك موت لأنك تقول "من يجدنى يجد الحياة" (أم 8 : 35) وتقول أيضاً "من يخطئ عنى يضر نفسه. كل مبغضى يحبون الموت" (أم 8 : 36). اغفر لى يا الله أنا فى ذاتى لا أستحق لكن على حساب ما جادت به نفسك لأجلى. على نفقة حبك الذى هو ابنك يسوع المسيح .. اقبلنى ابناً لك ..

- 47 -

بين بنات جنسها. "وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك يقول السيد الرب" (خر 16 : 14) يا ليتنا نتمتع جميعاً بذام اليقين الذى كان عند عروس النشيد، يقين القبول لدى عريسها .. هو يعرف طبيعتها جيداً ويعلم أيضاً مقدار التلف الذى تحدثه الخطية فى كيان فريستها ..

إن كنت قد عزمت من قلبك أن تؤلف بعض الكلمات التى تود أن تخرجها منمقة لتقولها للرب ليغفر لك. فأمن يقيناً أن أية كلمة بسيطة تقولها للرب تعبر عن توبتك الصادقة سيفهمها أكثر مما تفهمها أنت ..

أتذكر العشار الذى دخل الهيكل موجهاً نظره إلى فوق وقد قرع على صدره قائلاً

- 46 -

عبداً مطيعاً لحريتك التى تسمو بى وتهبنى كل شئ ..

- 48 -

الفصل الثالث

عودة بعد ضياع

وبدأت رحلة الاسترداد :

أن تجده ينحنى على تراب أرضها ليقبله

..
كم كانت سعادته وهو ينظر إلى
الأرض الخصبة ذات الأثمار المضاعفة
الجو الصافي والشمس الساطعة كان
الحنين يلهبه أن يرى أباه ..

بدأت فكرة العودة تنسج خيوطاً من
الأمل الذى سرعان ما اسنجمت مع
بعضها وكونت ثوباً من الرجاء .
هذا الرجاء الجديد جعل الابن يتحين
الفرص للعودة وأخيراً تمكن من ركوب
ناقلة كانت تحمل بعض الأهالى للهجرة
من أنياب المجاعة القاسية .. وصل الابن
إلى مسقط رأسه واستقرت قدماه على
أرض مدينته. فلم يكن من المستغرب أبداً

فسارع للدخول إلى مدينته. إلا أن أحداً
لم يلتفت إليه ولم يقدم له أية تحية كما كان
فيما مضى فما عرفه أحد فى مدينته ..
أتعرف لماذا عزيزى القارئ! لأنه كان
مختلفاً تماماً .. فثيابه مهلهلة وقد اكتست
بحمأة الخنازير، وأضحى شعره الناعم
غابة شعواء علاوة على وجهه اكتسى
بحزن شديد بجانب اتساخه الواضح الذى
غطى التجاعيد التى كانت تعلوه ..

الأب وركوضه ناحية ابنه .. يقول الكتاب
"وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن"
لاحظ "فتحنن" يا لها من كلمة رائعة
تحمل أكثر بكثير جداً مما ينطوى عليه
معناها اللغوى حيث إنها فى الأصل كلمة
يونانية *Espiagknisthé* وتعنى
اضطراباً فى الأحشاء. فالأمر ليس مجرد
عاطفة سطحية بل انقلاب فى الكيان رأساً
على عقب .. أما فى معناها الروحى فهى
تعنى "قوة التجسد" فقوة الله اللاهوتية
الجبارة لا يستطيع أحد أن يقترب منها
لأنه "نور لا يدنى منه" (1تى 6 : 16).
إذاً كيف يتعامل الإنسان البشرى مع الله
الروح على هذه الصورة ..

لابد وأن يصبح الله فى صورة البشر
ليتعامل معهم ويشعر بهم. وهذا ما نجده

دارت الأفكار فى عقل الابن "هل
سيعرفنى أبى سيتذكرنى بعد هذه الأيام
الطوال. وهل سيقبل ندمى ويلتقى بطاقم
خدمه وعبيده .. للأسف لم يكن الابن
يتوقع من أبيه أفضل من أن يعتبره كأجير
عنده .. وتسارعت الأفكار لدى الابن إلا
أنه وجد نفسه قد وصل إلى أول الطريق
المؤدى إلى بيت أبيه ..

لحظة مصيرية وكلمة اعتراف :
ومن بعيد رآه أبوه بالرغم من اختلاف
مظهره إلا أنه عرفه إذ كان يقف على
سطح بيته كل يوم ينتظر عودة الابن
الغائب .. فلما رآه أسرع مهرولاً إلى
الطريق حيث لم يصبر فى حبه بل ركض
تجاه ابنه دعنا الآن نركز ببعض التأمل
فى كلمة واحدة تلك التى جسمت محبة

أيضاً في حادثة إقامة ابن أرملة نايين (لو 7 : 11 - 15). إذ شاهد الرب الأم الأرملة الأم حيث ترى ابنها يحمل داخل النعش .. ابنها الوحيد في طريقه ليواري الثرى "فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى".

وهنا "تحنن" (لاحظ أنها نفس الفعل المستخدم في لوقا 15) الرب بكمال لاهوته في المسيح يسوع ابنه مد يده لامساً النعش الذي كان يحمل نجاسة الموت. إذ نرى في كلمة "تحنن" قوة الله التي هي المحبة .. فنحن لا نستحقها لكن محبته تعبر قنطرة الصليب ليصير لى ولك الحق للتمتع بها ..

لقد ذكر الوحي كلمة "تحنن" ما يقرب من عشر مرات في العهد الجديد سواء من خلال أحداث فعلية أو عن طريق أمثال من فم الرب يسوع. فهو تحنن عندما :
أزال انزعاج الجموع (مت 9 : 36) .
شفى مرضى الشعب (مت 14 : 14) .
شفى الأعميين (مت 20 : 34) .
طهر الأبرص (مت 1 : 41) .
علم الجموع (مر 6 : 34) .
أقام ابن أرملة نايين (لو 7 : 13) .
ذكر مثال المديون (مت 18 : 27) .
ذكر مثال السامري الصالح (لو 15 : 33) .

ذكر مثال الابن الضال (لو 15 : 20) .
لعلك ترى من هذا كله أن الرب يسوع له كل المجد تحنن ساعة الاحتياج الساعة التي ظهر فيها الموت والعجز والألم ..

لماذا تحنن الرب يسوع كل هذه المرات في العهد الجديد؟ كثيراً ما نقرأ في كلمة الله في العهد القديم عن الله الذي يعاقب جزاء الإثم .. ومبدؤه "النفس التي تخطئ هي تموت" (حز 18 : 20).

طمع قورح في شئ ليس من حقه فابتلغته الأرض هو وجماعته وانطبقت عليه ومات (عدد 16) .
وكذلك أخطأت مريم النبية في حق أخيها موسى فضربت بالبرص.

وكذلك أخطأ يعقوب وسرق البكورية من أخيه وخدع أباه فذل في بيت خاله لابان وأذاب قلبه قهراً على ولده يوسف (تك 29، 37، 34، 35) .

الضيق والبكاء وهذا هو مجال الصليب .. وفي مثل الابن الضال نرى في ركوض الأب وتحننه صورة التجسد والصليب .. علامة الحب التي ربطت المخلوق بالخالق صانع السلام والحب ..

ولست أعرف هل تسعفنى كلمات اللغة ودقة التعبير في صياغة ما أعطانيه الروح القدس بخصوص كلمة "فتحنن" أم لا .. لكن أعتقد أن الروح القدس الذي وهبني هذه النسمة الرائعة لن يبخل عليكم بجلائها ..

لقد عرفنا من خلال الصفات السابقة الأفكار عن كلمة تحنن ولقد أسلفت وأوضحنا أن معناها الروحي "قوة التجسد" نعم وسيوضح ذلك أكثر من خلال الإجابة على السؤال التالي .

فكان يظهر تحننه فى الحية النحاسية مرة وفى يد موسى المرفوعة فى حربه مع عماليق (خر 17 : 11) وفى ملاك الرب تارة أخرى ..

لكن الشعب لم يفهم لماذا يفعل الرب معهم هكذا، ظنوا أنه لا يشعر بهم على الرغم من أنه أحبهم جداً جداً.. "محبة أبدية أحببتك لأجل ذلك أدمت لك الرحمة" (إرميا 31 : 3).

وهنا أعلن الله لنا بالنعمة جوهره وهو "الله محبة" (1يو 4 : 16) ما أمجد الرب .. قال عن نفسه بالروح القدس "الله محبة" وأعلنها لنا "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (1يو 4 : 9) ومحبة

- 58 -

يتنازل الأب ذو المنزلة الرفيعة ويركض أمام عيون الناس ليلتقى بابنه إلا بعد تحننه .. فكل ما فعله الأب هو نتيجة مباشرة لتحننه . وتحنن لأنه رأى ابنه الحبيب ملوثاً بأسمال الخطية، رآه محتاجاً..

فالمنطق يقول إن مثل الأب العظيم يجب أن يتبرأ من ابن عاق كهذا.. لكن نشكر الله لأن طبيعته ليست كطبيعة البشر القاسية العتيقة إن من طبيعة الله التحنن لأنه محبة. وعندما أقول "محبة" لست أقصدها فى ميزان مع محبة البشر.. بل هى مختلفة جداً بما لا يقاس على الإطلاق، فكل حب فى الوجود نبعه هذه المحبة ..

- 60 -

وكذلك أبشالوم بن داود الذى ثار على أبيه وأراد اقتلاعه من جذوره فمات بسهما يوأب بن صرورية معلقاً من شعره فى بطمة (2صم 18 : 15). وأمثلة أخرى كثيرة يطول ذكرها لأناس أدبوا لأنهم أخطأوا .. ولكننا نجد شيئاً مختلفاً فى العهد الجديد فنرى الرب يسوع يغفر ويستتر الخطايا ويطلب الصفح لصالبيه وهو فى أشد حالات الألم..

هل تغير الله؟! حاشا ..

كان الله فى العهد القديم يقدم حبه الشخصى لخاصته ويتحنن عليهم لكنهم لم يشعروا بتحننه لأنهم للأسف يريدون العيان ..

- 57 -

الأب قد تجسدت لنراها فى الاعتراف أن يسوع المسيح هو ابن الله المقام لأجلنا والذى أسلم لأجل تبريرنا" .

هذه المحبة أظهرت بالتجسد .. الله تجسد .. تحنن .. لأن المسيح هو صورة الله غير المنظور .. رأينا يسوع الله الظاهر فى الجسد ومن هنا نفهم أن كلمة تحنن يبنى بها "ومضة الحب الأزلى فى لحظة الاحتياج".

وفى مثال الابن الضال "وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو 15 : 20) ..

لم يقل الكتاب "إذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فركض ووقع على عنقه وقبله ثم تحنن" .. لاحظ دقة الوحي الرهيبة، لم

- 59 -

فخطية الإنسان تحكم عليه بالموت الأبدى لكن يسوع يقول "أنا الله المتحنن أخذت الموت بدلاً عن الإنسان الخاطيء لأعطيه الحياة".

البرص هو النجاسة وكل أبرص لا يدخل المدينة بل يقول صارخاً لكل مَنْ يقترب إليه "نجس نجس" (لا 13 : 45). لكن عندما تقابل الله الأزلي مع الأبرص (مر 1 : 40) وعلم رغبته في الشفاء تحنن في ابنه .. على الرغم من أن الأبرص كان يستحق كل ما هو فيه، لكن محبة الله المتكلمة تشفق "فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر".

فلمسة التحنن هذه سحبت البرص كله من جسد الأبرص .. وتاماماً مثلها لمسة

النعش في (لو 7 : 14) مع الموت .. ومثلها لمسة أعين الأعميين في (مت 20 : 34). أما في موضوع الابن الضال فلم تكن مجرد لمسة أو نظرة (مت 9 : 36، مت 14 : 14، مر 6 : 34، لو 1 : 33). بل كانت أعظم بكثير لقد "وقع على عنقه وقبله" أو احتضنه مطوقاً إياه بذراعيه .. ولم يلمسه أو ينظر إليه فقط بل التصق به .. ليأخذ كل خطية الابن في جسده ألم يكن هذا كله بعد كلمة "فتحنن" .. هذا هو غرض تجسد الرب يسوع أن يأخذ جميع خطايانا في جسده على الخشبة، ولولا تحننه لما صعد على صليب الجلجثة ..

والخلاصة :

- 62 -

نحن لا نستحق الشفقة لكن طبيعة الله يسوع المسيح التي هي المحبة أشفقت علينا وصار لنا الامتياز أن نكون أنقياء لأنه ينتزع آثامنا وخطايانا ويأخذها هو عنا..

هل تراه وهو يركض نحوك بحب فوق الأبوى، بحب قد سما، وهو يريد أن يأخذك في أحضانه.. يضمك إلى ذلك الحزن الدافئ المقدس فتنقدس روحاً ونفساً وجسداً؟ فهل تأتي إليه؟ "فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعل الذين سقطوا (لم يريدوا أن يأتوا إليه) وأما اللطف فلك إن تثبت في اللطف (تحننه وإلا فأنت ستقطع" (رومية 11 : 22).

- 64 -

- 61 -

إن ما دفع الرب أن يتحنن هو محبة شديدة جداً لنا تسكن في قلبه.. التصق بنا ليسحب في جسده (البرص - الحمى - الموت) وكلها إشارات واضحة جداً للخطية.. كان الله في العهد القديم يؤدب على الخطية كما رأينا في الصفحات السابقة، إلا أنه في ابنه يسوع تحمل التأديب عنا "تأديب سلامنا عليه" (إش 52 : 5). لقد أحبنا الله فعلاً لا كلاماً فشكراً له.

أخى.. هل رأيت الله يحبك.. يسوع يحبك.. الروح القدس يحبك ويريد أن يملكك هيكلك الداخلي حيث يسكن في حياتك..

- 63 -

ونعود إلى مشهدنا.. فوجد ابناً يقف مكانه جامداً مذهولاً يفرك في عينيه بكلتا قبضتيه وكأنه لا يصدق، فهو يرى أباه يركض ناحيته فيتساءل بينه وبين نفسه ما عسى أن يكون هذا؟

إلا أنه وجد أباه يقع منكباً على عنقه ويقبله.. لقد أمطر الأب ابنه بالقبلات على الرغم من أن عنق الأخير كان ملطخاً بالطين..

يا لها من صورة رائعة رسمتها لنا أصابع الله المحبة في بشارة لوقا فنرى الابن وقد تستر في جسد أبيه وأسند رأسه التائهة على كتف أبيه ملتصقاً ويصرخ من أعماق نفسه "أخطأت".

بقوة عندما تلتفت محبة الأب وسط غمرة القبلات .

هل لاحظت شيئاً؟ لقد أعد الابن وهو في كورته البعيدة بعض الكلمات ليقولها لبيه لكنه لم يكملها كلها إذ ألغى الجزء الأخير منها "اجعلنى كأحد أجراك" حيث إنه قد أدرك شيئاً هاماً لتوه. ليس أحد يعامل أجيراً لديه بمثل هذا الحب ولاشك أن كلمات الابن كانت تحمل اعترافاً مؤداه أن ما عاناه لم يكن إلا عقاباً من السماء لأنه ظن أن حرите هي البعد عن بيت أبيه.. وهو الآن لا يستطيع رفع إحدى عينيه إلى أبيه.. لكن الأب الحنون كان ينتظر هذه الكلمات منذ زمن بعيد لأنها تظهر معرفة الابن بقيمة وجوده في بيت أبيه..

يا له من حب يقابل به الله كل إنسان مذنب يرجع عن طريقه وأفكاره الشريرة ويعترف باقترافه إياها في حق الله.. فيكون المسيح وحده هو قوة غفرانها لا بمقتضى خلقه لنا فقط بل بمقتضى دمه الذى سال مسفوكاً عنا على صليب العدل "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (1يو 1 : 7) "وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1يو 2 : 2) .

وهنا فهم الابن وسط هذا الحزن الدافئ مقدار حب أبيه له فشرع يعترف بخطيته "يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً". يا لها من كلمات دار حولها صراع الكبرياء في نفس الولد. إلا أنها انتصرت

رد المفقود :

وهنا أخذه الأب إلى بيته وكان الوقت نهراً فتجمع المارة لينظروا ويستاءلوا "كيف يسير هذا الرجل العظيم مع هذا الشاب القذر". إذ كانوا لا يعرفون أنه الابن التائه، لكن الأب نظر إليهم بإصبعه إلى ابنه قائلاً "ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد".

حقاً.. قد كان هذا الأب مثلاً مصغراً للأب الأعظم الذى لا يستطيع أن يترك أياً من أولاده مهما توغل في عالم الخطية.. فهو يقبل الندم والتوبة.. لأنه يقول "إن لن تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو 13 : 3). وهنا أدخله أبوه

إلى البيت ودعا عبده وخدمه وبدأ يزيل التغيرات الخارجية التي حدثت في ابنه كما يزيل التغيرات الجوهرية في نزعات أعماق الابن. طلب الأب لابنه "الحلة الأولى" ليبدل ثياب الخطية التي صيرته حقيراً في عيني نفسه وفي عيون الآخرين والتي تعبر عن ثوب البر الذي صار لنا جميعاً حق ارتدائه في المسيح فقط وبلا استثناء .

وكلمة "أخرجوا" والتي تعود على الحلة الأولى تدل على أنها كانت شيئاً محفوظاً لمناسبة خاصة.. وها هي مناسبة المناسبات إذ إن الابن المفقود قد وُجد.. لم يتوقف سيل الحب الجارف على ذلك حيث أمر أبوه بأن يجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجليه..

- 69 -

يا له من امتياز عجيب. فشخص لا يجد الطعام ويشتهي أن يأكل فضلة الخنازير ولا يقدر حتى على ذلك يجد نفسه وسط حلة فاخرة وفي يده خاتم متميز لامع ينتعل حذاء جديداً والأعجب.. أمامه عجل مسمن كامل معد للأكل..

نعم إنها نعمة الله وأمانته التي تستريح في رد المكانة لكل خاطئ أثيم حالماً يتوب "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها" (إش 43 : 45). لاشك أن عودة الابن الأصغر إلى بيت الأب كانت شيئاً غير عادي بالنسبة للأب وبالنسبة لعبده.. فقد امتلأ جو البيت بالحركة والبهجة..

- 71 -

إن هذا الخاتم يشير إلى البنوية.. هل تعتقد أنه قد خطر خاطر على بال الابن مرة وهو في كورة الخنازير أن يلبس خاتم البنوية؟ بالتأكيد لا لأنه كان لا يجد الطعام حتى يسد به جوعه.. لا بد أنه لو فكر في ذلك لاعتبر نفسه قد فقد عقله.. لكن عندما عاد وجد الأمن والطعام والسترة من العرى والبرد وخاتم البنوية.. والأجمل جداً في كلمات الوحي حيث يقول "وحذاءً في رجليه" فلا بد وأن ينفصل عن الأرض وينقطع اتصاله بالعالميات وأمور الماضي الأسفة، تلك التي جلبت له العفونة والنجاسة.

يل لها من هبات يمنحها الله لكل خاطئ يرجع إليه. وهنا أيضاً يأمر الأب "قدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح"..

- 70 -

الأب يفرح هو وعبده :

يقول الوحي "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً - برأ ذاتياً - لا يحتاجون إلى توبة" (لو 15 : 7) لم يكن الأب فرحاً لمجرد عودة الابن فقط بل إن فرحته تجاوزت ذلك بكثير إلى فرحة ذلك الذي قام ولده من بين الأموات حيث قال لعبده "لأن أبنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد" (لو 15 : 24).

قد نقرأ هذه الكلمات مراراً وتكراراً ولكن لنتوقف عندها هذه المرة قليلاً ونقف قبالة كلمة "ميتاً فعاش" فهل كان الابن ميتاً على حد القول؟.. لا لم يكن ميتاً

- 72 -

من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه"
(1يو 5 : 18).

والخلاصة.. إن النفس التي لا تتنفس
ولا تحس ولا حرارة فيها هي نفس ميتة..
وأهم ما ينبغي عمله لهذه النفس هو تقديم
الحياة لها "أنا هو القيامة والحياة من
أمن بي ولو مات فسيحيا" (يو 11 :
25).

وذلك لتنال الولادة الثانية والعودة إلى
صورة النقاء الطبيعية التي كانت لها قبل
تشوهها بالخطية.. تغير الابن قلباً وقالباً
ونال الحياة الجديدة بعودته إلى بيت أبيه
يحمل الندم والتوبة.. "وأعطيك قلباً
جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم

- 74 -

معى كلمات الإصحاح الثامن والعدد
الثامن أيضاً من سفر الأعمال "وكثيرون
من المفلوجين والعرج شفوا فكان فرح
عظيم في تلك المدينة".

حقاً فإن المؤمنين يفرحون بعودة
الخطيئ ليس لأجل شئ أو آخر بل لأجل
الروح القدس الذى هو روح الله فينا
والذى يفرح بدوره هذا الخطيئ إلى الحياة
المطلقة. "الرب إلهك فى وسط جبار
يخلص يبتهج بك فرحاً يسكت فى محبته
يبتهج بك بترنم" (صفنيا 3 : 17).

- 76 -

جسدياً بل كان أخطر من ذلك بكثير جداً
إذ كان ميتاً روحياً وأدبياً.. لأنه كان
منفصلاً من الحياة.. فهو منغمس فى
الخطية وفى حبائل كبريائه الذى يمنعه
من الاعتراف بخطيته. "من يكتم خطاياهم
لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم" (أم
28 : 13). إذ.. تسألنى كيف أعلم إذا ما
كنت ميتاً أو حياً بحسب المفهوم؟! أقول
لك إن النفس الميتة لا تتنفس لأن الصلاة
هى أنفاس النفس والنفس الميتة لا تصلى
والنفس الميتة باردة لأن محبة الله هى
حرارة النفس، والنفس الميتة لا تحس لأن
إحساس النفس يظهر ببغضها للخطية
وطلبها التخلص منها ولكن غير
المتجددين لا يبغضون الخطية ولا
يطلبون التخلص منها فنفسهم لا تحس
"من ولد من الله لا يخطئ بل المولود

- 73 -

وأنزح قلب الحجر من لحمكم وأعطيك
قلب لحم" (خر 18 : 28) .

هل أدركت الآن معنى كلمة "ميتاً
فعاش" هل أنت ميت؟ كن صريحاً مع
نفسك. فهناك الآن فرصة سانحة ووحيدة
تمنحك الحياة.. أنت تعرفها. فقط عندما
تريد.. اعترف للرب يسوع بكل ذنوبك
وخطاياك وثق من كل قلبك الذى يحمل
التوبة الصادقة أنه قد غفرها لك كاملة
"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل
حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل
إثم" (1يو 1 : 9) وذلك ليس لاستحقاقك
أو لبر فيك بل لأجل محبته الكثيرة التى
أحبنا بها والتى تجلت بوضوح شديد فى
عمله العجيب على صليب الجلجثة.. وهنا
يكمل الوحي "فابتدأوا يفرحون". أتذكر

- 75 -

ماذا كسب الابن الأصغر

فى النهاية

حاول الابن أن ينفذ هذا الملصق من عليه فلن يقدر لأنه مقيد وسيظل ملتصقاً به، فلا بد من شخص قادر يعرف التعامل مع هذا الشئ لينزعه عنه..

وهذا كان العمل عينه الذى فعله الأب عندما وقع على عنق الابن واحتضنه بقوة.. التصق به بقوة..

باحتمضانه الابن أخذ الأب كل الخطية الملصقة بالابن فى جسده هو وهنا صار حضن الأب قنطرة الحب التى حولت كل خطية ابنه إليه.. وهنا صار مؤهلاً لأخذ حقه فى البنوية.. والذى سوف يسوقه الروح القدس لنا فى السطور القادمة..

لاشك أن الابن الأصغر قد فاز بأشياء كثيرة عظيمة عند عودته إلى بيت أبيه لم يكن للابن شئ من هذه دون أن يلتقى بحضن أبيه. نقرأ فى (لو 15 : 15) عن الابن "فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير". ليتك تنتبه لكلمة "التصق" فلقد التصقت الخطية بالابن فى عناده وزاد التصاقها فى الكورة البعيدة بعدما بدأ طريق الانحدار بهجرته أباه وأخاه..

التصق الابن بالموت والنجاسة فصار ميتاً.. وكلنا يعلم ما هو "اللاصق" فمهما

إسرائيل لكنهم لم يريدوا.. فأدخل الأمم عهده وألبسهم ثوب خلاصه ورداءه الخاص الذى يهب البر..

صار الابن كاهناً فى مملكة أبيه الروحية لأنه أذعن لصوت الرجوع فى داخله "أما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء" (1بط 2 : 9). وهكذا يتضح أنه "جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الأبد" (رؤ 1 : 6).

يا له من امتياز كريم ذلك الذى صار لنا نحن المؤمنين باسمه لتكون كهنة عند الله لأن رئيس كهنتنا قد قدسنا باجتيازه السموات ليعد لنا المكان (عب 4 : 14). مكان السكنى الأبدى..

ارتداء الحلة الأولى:

لقد أمر الأب أن تُخرج الحلة الأولى.. حلة الخلاص، حلة الكهنوت الملوكى لكل مؤمن.. لقد أراد الرب أن يجمع أولاده بنى إسرائيل تحت جناحيه كما تجمع الدجاجة أفرانها لكنهم لم يريدوا. وقد صار صوته يدوى فى القديم "وأنتم تكونون إلى مملكة كهنة وأمة مقدسة" (خر 19 : 16).

لكن أحداً لم يرد أن يقبل. لذا فقد خرج الرب بدعوته إلى السياجات ومفترق الطرق ليجمع له بنين طائعين ليدخلهم فى رحاب مملكته الملوكية لا ليكونوا عبيداً بل أبناء.. أراد الرب أن يقدر بنى

تستطيع أن تخبر بفضائل الله المعلنه بابنه
والذى ينقلك من الظلمة إلى نوره
العجيب..

فهي حلة التبرير.. حلة الإفلات من
سيطرة الخطية والاقتراب من الله. فهي
ثياب العرس (مت 22 : 11). ثياب
الطبيعة الجديدة.. كل من لا يرتديها فهو
لا يزال عرياناً أمام عدالة الله النافذة..

لبس الحذاء :

قرأت يوماً فى كتاب عن التقاليد
اليهودية أن العبد عند اليهود لم يكن
ترتدى حذاء فى رجليه بالمرّة بل يظل
طوال الوقت حافياً.. وناهيك عن الأعمال

- 82 -

ارتدى الابن حلة التبرير من كل
خطاياها السالفة. "كهنتك أيها الرب الإله
يلبسون الخلاص" (2أى 6 : 41).
"كهنتنا (صهيون كنيسة المسيح) ألبس
خلاصاً" (مز 132 : 16).

لقد نزع الأب ثوب الخطية المذنب من
على كيان ابنه وكساه ثوباً من نوع خاص
لا يباع ولا يُشترى. ثوباً كل من يلبسه هو
طاهر ونقى. "خلعتم الإنسان العتيق مع
أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدد
للمعرفة حسب صورة خالقه" (2كو 3 :
9).

أخى.. هل تريد أن ترتدى هذه الحلة
الملكية. إنها الوحيدة التى تقدر أن تؤهلك
للحياة الأبدية فهي تمدك بسلطان به

- 81 -

الحفاء.. لتخرج خارج البيت وتأتى لى
بالنفوس العزيزة على قلبى". "حاذين
أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف 6 :
15).

فتجد فى بيتى مرعى حقيقياً بدلاً من
مرعى الخنازير.. ألبسه الأب الحذاء الذى
يفصله عن أشواك الطريق..

لبس الخاتم :

لا يختلف لبس الخاتم كثيراً عن ارتداء
الحذاء.. لأن كلاهما يشير إلى البنوية،
فالعبد لم يكن له أن يضع خاتماً فى يديه
من أى نوع فملا بسه ومظهره يقولان إنه
عبد..

- 84 -

التى يقوم بها فى بيت سيده من تنظيف
ونقل أشياء خلالها تدمى رجلاه ويصيبها
التمزق من الأشواك والمسامير الصدئة..
ولأنه عبد فليس له الحق أن يحمى قدميه
بحذاء.. وأحياناً يكون العبد أرخص ثمناً
من الحذاء إذا جاز التعبير..

إلا أننا نجد فرقاً لا يقاس بين ابن ظل
فى كورة الضياع وعاد على أساس أن
يقبله أبوه كعبد أجير عاد بنفس تحمل عدم
استحقاق للبنوة.. لكن أباً عظيماً جداً تحن
عليه وألبسه حذاء فى رجليه وكأنه يقول
"أعرف ما كنت تود أن تقوله ولم
تستطيع أن تكلم، فما أنا أضع حذاء فى
رجليك ليميزك كابن فلست عبداً ولا
أجيراً.. ها أنا أحرك من عبودية الخطية
القاسية وألبسك حذاء فى رجلك بدلاً من

- 83 -

جلس على المائدة ليأكل من العجل

المسمن :

قيل عن بعض أهل الكرم أن يخصصوا بعض الطيور أو الذبائح لكي يذبحوها للضيوف وهي بالطبع ليست أفضل من عندهم..

لكن عندما نترك المجال البشرى ونرتقى بالروح القدس إلى إله الكرم نجده يذبح أثنى ما لديه من العجول. "وقدموا العجل المسمن وأذبحوه" كان حقاً أثنى شئٍ بدليل أنه لما سأل الابن الأكبر العبد عما عسى أن يكون الفرح والطرب الذى يسمعه فلم يخبره العبد عن الأشياء الثمينة التى أعطيت للابن الأصغر من أبيه عند

- 86 -

لكن الابن الأصغر قد أضحى مظهره بما لا يدع جانباً للشك ابناً والابن يجب عليه أن يطيع أباه كابن وليس كعبد أجير.. فالابن يخاف على أموال أبيه لأنها ميراثه.. لكن العبد هو أجير أولاً وأخيراً لا يهمله إلا أن يطيع كعبد حتى لو رأى أمامه شيئاً خاطئاً فليس له الحق فى إصلاحه بدون أمر.. لأنه يعيش خائفاً "لا أعود أسميكم عبيداً.. لكنى قد سميتكم أحبباء" (يو 15 : 15) "لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذى به نصرخ يا أبا الأب" (رو 8 : 15).

- 85 -

الأعرج.. لم يكن مفيوشت يستحق الإحسان لكن داود أجلسه على مائدته "من أجل يونانان" (2صم 9 : 1). وهكذا كل شخص لم يكن له أن يجلس فى حضرة الأب إلا على حساب دم يسوع المسيح ابنه.. لقد أحبنا الأب جداً لأجل خاطر ابنه "ليكون فيهم الحب الذى أحببتى به وأكون أنا فيهم" (يو 17 : 26). "وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحبيبتهم كما أحببتني" (يو 17 : 23). لقد أحب داود مفيوشت بن يونانان فجعله يأكل خبزاً على مائدته.. وكم تتشابه صورة الابن الأصغر مع مفيوشت الذى رأى نفسه فى عوج وضعف فقال لداود من هو عبدك "حتى تلتفت إلى كلب ميت مثلى" ..

- 88 -

رجوعه مثل الحلة الأولى أو الخاتم أو الحذاء بل قال "أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالماً" ..

يا لها من مقدمة ثمينة جداً وما أعظمها هبات الأب، لقد جاس الابن على المائدة ليأكل العجل المسمن.. عجل الامتياز والتصالح، وكلنا يعلم أنه عندما يتصالح مع آخر قد يعزم أحدهما الآخر على وليمة أو مأدبة لربط أواصر المحبة من جديد..

لكننا نرى صورة الأب الذى سامح ابنه بالكثير وقبل تصالح الابن معه.. هذه الصورة كثيراً ما تذكرنى بصورة داود الذى دأب يبحث عن ذرية ليونانان حبيبه (1صم 18 : 1) ليصنع معها إحسان الله فوجد ابناً ليونانان وهو مفيوشت

- 87 -

هكذا كان للابن الأصغر نفس تشعر بعدم الاستحقاق.. كلاهما تمتع بمائدة الشبع.. لم يكن فى أى منهما أى امتياز يذكر.. لكنهما جلسا على مائدة البيت مع صاحبه وفى حضرته..

يذكر لنا الوحي عن مفيبوشث أنه قد أظهر بوادر الخيانة إبان عصيان أبشالوم بن داود.. إلا أن الأخير لم يشأ أن يهلكه لأنه أحب يوناثان أباه بل أخذ ما أعطاه له وأعطاه لغلامه صيبا (2صم 16 : 1 - 4) لكنه كان يحبه فأشفق عليه فأعطى النصف لصيبا والنصف الآخر له (2صم 19 : 24 - 30، 2صم 21 : 17). وهكذا تظهر أمانة الرب الدائمة على مر العصور "من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً (يو 6 : 37) حتى إن أخطأ أحد منا فلنا

شفيح عنده هو يسوع المسيح ويقبل توبتنا. جلس الابن الأصغر على مائدة تحمل امتيازاً لأن صاحبها كان له القلب المتحنن..

ليس ولا واحد يستحق أن يجلس على المائدة ليأكل من العجل المسمن لأن العرج قد سعد فينا بعجز فصرنا أمواتاً.. لأن العجز هو الموت..

لكن كلمة الرب تقول "هوذا غذائي قد أعدته. ثيراني ومسمناتي قد ذبحت وكل شئ معد. تعالوا إلى العرس" (مت 22 : 4).

والآن ماذا على الابن الأصغر أن

يقدم لأبيه..

1- أن يقدم ذبيحة جسده :

على الابن أن يشعل قلبه على مذبح الحب لبنيه الذى أحبه وعفر له الكثير والكثير.. وعليه أن يأتى بأبناء كثيرين للمجد "قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة عند الله عبادتكم العقلية" (رو 12 : 2) والعبادة العقلية الحقيقية فى جوهرها هى ربح النفوس. "ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة" (1يو 3 : 16).

2- أن يقدم ذبيحة شكر:

ما أرخص كلمة شكراً.. لكن ما أثنمها إذا اقترنت بهدية قيمة، وأية هدية ترضى

الرب سوى إرجاع النفوس الضالة.. لذا فيجب أن تمتلئ شفتنا الابن الأصغر بثمر اعتراف باسم من أحبنا فضلاً كل من يحب شخصاً فهو دائم الذكر له يزرعه فى كل أحاديثه وأفكاره للآخرين..

3- أن يقدم ذبيحة قدراته:

إن قدرات ووقت وإمكانيات المؤمن ليست ملكه لأنها مجندة فى ملك سيده فتجده نشطاً بين الكنيسة والخدمة وساعات الخلوة والافتقاد. كان الابن الأصغر شاباً وها هو يقدم شبابه لخدمة أبيه فى كل مكان.. وكل مؤمن هو شاب مهما بلغ عمره لأن الرب يجدد كالنسر شباب أولاده (مز 103 : 5) ليعيشوا فى دائرة امتياز خدمته ساهرين حارسين كل

واحد ثيابه "لئلا يمشى عرياناً فيروا
(الناس) عريته" (رو 16 : 15).

الفصل الرابع ولم يرد أن يدخل

ويظهر الابن الأكبر :

ولكن سرعان ما يظهر الابن الأكبر فى
قلب المشهد لا لى يشارك أباه وأخاه
العائد فرحتهما بل ليعاتب.. حيث كان
يعمل فى الحقل وقت عودة أخيه..

فهو يبدو للعيان مجتهداً مكداً يعمل
ويعمل.. تماماً كما بدا الفريسيون أمام
الناس أبراراً وقد قال فيهم الرب يسوع
"أنتم اللذين تبررون أنفسكم قدام الناس
ولكن الله يعرف قلوبكم" (لو 16 : 15).

- 94 -

يبحث عن أخيه المفقود فى الكورة البعيدة
ليخفف الحزن عن قلب أبيه، ليحول جو
البيت إلى الفرح.. فهو ابن سلبى كان
يبغض أخاه منذ البداية.. لقد كانت له
محبة ميتة..

وللأسف يوجد الكثير منا مثل هذا الابن
يعتق المبادئ القتالة دون أن يدري "من
يبغض أخاه فهو قاتل نفس" (1يو 3 :
15). "أما من يبغض أخاه فهو فى
الظلمة وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين
يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه" (1يو 2
:11).

هل تبغض أخاك؟ بالتأكيد ستقول يا له
من سؤال غريب.. لكننى لا أقصد أخاك
شقيقك بالتحديد بل أقصد أخاك الإنسان

- 96 -

هكذا كان ظاهر الابن الأكبر ظاهراً
يعبر عن أمانة مزيفة لأن باطنها محبة
ميتة "إن سلمت جسدى حتى أحترق
ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً"
(1كو 13 : 3).

جاء الابن الأكبر واقترب من البيت
فسمع صوت آلات وطرب ورقص "فدعا
واحداً من الغلمان وسأله ما عسى أن
يكون هذا". لابد أن ما سمعه قد استدعى
انتباهه لأنه تعود على كآبة البيت الذى
تغلفه غلالة من الصمت والحزن الشديد
الذى كان بسبب فقدان الابن الأصغر..
أخيه..

ورغم أن الابن الأكبر كان يعيش فى
هذا الجو من الحزن إلا أنه لم يحاول أن

- 95 -

بعد أن كان فى الضياع بين برائن كورة الوهم لكن الكتاب يقول: "فغضب ولم يرد أن يدخل" (لو 15 : 28).

يالها من فريسية ظاهرة لم تستطيع التستر لأن الرب قد كشفها "ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفاتيح المعرفة.. ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم" (لو 11 : 52). لم يدخل الابن الأكبر إلى البيت لأنه احتقر أخاه الأصغر.. وكم تولد الغيرة الاحتقار.. لقد احتقرت ميكال ابنة شاول زوجها داود من قلبها عندما رآته يظفر ويرقص أمام تابوت الرب الذى دخل إلى مدينة داود مع الهتاف وصوت البوق.. والسبب الحقيقى فى احتقارها له ليس لأنها رآته كأحد السفهاء بل لأنها كانت تغير على بيت أبيها الذى لم يحظ

- 98 -

عن سبب إحجامه عن الدخول فيجيب الابن الأكبر "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك. وجدياً لم تعطنى قط لأفرح مع أصدقائى ولكن لما جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى ذبحت له العجل المسمن".

يا لها من كلمات يوجهها الابن لأبيه لتكشف عن بره الذاتى ليطعن بها الأب كسهم نافذ ليظهر فى النهاية أن أباه لا يرى الأمور فى نصابها الحقيقى فيتهمه بالقصور وعدم العدل وهذه إهانة كبيرة للأب.. يذكرنى هذا الابن بذلك الفريسي الذى وقف صلى فى نفسه هكذا "اللهم أنا أشكرك إنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا

- 100 -

الذى اشتراه الرب يسوع بدم ثمين.. فأنت تراه إذ لم يتمتع بعمل دم المسيح فى حياته بل تشير إليه بأصابع الاتهام وتقول إنه خاطئ وسوف يهلك.. ماذا فعلت له؟ هل حدثت عن السيد الذى يحرر من عبودية الخطية؟

من فضلك كن أميناً مع نفسك فى إجابتك على هذه التساؤلات.. لقد تعجب الابن الأكبر جداً مما سمعه ورغم ذلك لم يتصرف فى بساطة قلب بل "فدعا واحداً من الغلمان وسأله ما عسى أن يكون هذا فأجابه الغلام أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالماً".

كان رد الفعل المتوقع فى مثل هذا الموقف أن يفرح الأخ لعودة أخيه سالماً

- 97 -

بشرف مثل هذا. وهذا ما قاله داود كاشفاً نواياها" (رقصت) أمام الرب الذى اختارنى دون أبىك ودون كل بيته ليقمنى رئيساً على شعب الرب إسرائيل. فلعبت أمام الرب" (2صم 6 : 21). تماماً كما احتقر الأخ أخاه. "احتقر الفريسيون والكتبة الخطاة والعشارين لأن يسوع قد اختارهم ليجلس معهم ويعلمهم، فتذمروا عليه قائلين "هذا يقبل خطاة ويأكل معهم" (لو 15 : 2).

ماتت ميكال عقيمة لأنها لم تفرح مع داود. وهكذا كل من لا يفرح مع الله لأن الفرح يولد حياة منبعها محبة الله..

الابن يكشف عن جذوره المريضة:

وهنا علم الأب الحنون بمشكلة ابنه الأكبر "فخرج أبوه يطلب إليه" مستفسراً

- 99 -

العشار أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه" (لو 18 : 11 و 12).

لقد ذكر الابن الأكبر أباه بما فعله لأجله تماماً كما فعل الفريسي.. لقد عاب على أبيه أنه لم يعطه جدياً ليفرح به مع أصدقائه.. لقد وصلت الضعة بالابن أن يصف أباه بالشح الكثير حتى إنه لم يمنحه حتى أقل أنواع الأغنام..

ولكن هل طلب الابن الأكبر شيئاً ولم يعطه أبوه؟؟ إننا نجد الابن الأكبر يكشف في كلماته عن سبب ذلك فهو يشعر بعدم الحق والأهلية لأن إحساسه بالعجز على أن يقدم شيئاً لوالده المسكين كان يطارده، لذا لم يقو على أن يأخذ لنفسه جدياً لأنه لو كان يرى في نفسه أنه صاحب البيت لكان له الحق في أخذ ما يريد وقتما يشاء.

- 101 -

وكانه يقول لأبيه "فرحى ليس معك بالمرة".. لي أصدقاء وهؤلاء معهم فرحى. ويكمل الابن مأساته التي عاشت في كيانه وعششت في خيالاته سنين طويلة "ولكن لما جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى ذبحت له العجل المسمن". كان الابن الأكبر يشعر بالحدق والغيرة تجاه أخيه الأصغر لذا قال "ابنك هذا" وكانه يستعفى أن يقول "أخى" فهو لا يعترف به أخاً على الإطلاق.

وإذا كان الابن الأكبر يعرف أن أخاه قد أنفق معيشته على الزوانى فلماذا لم يذهب إليه ويحاول أن يقوم سلوكه وينصحه بعدم التماذى إذا كان يحبه حقاً؟ قد يكلمك الرب عن شخص معين تعرفه جيداً وهو منغمس في طين الحمأة.

- 102 -

أبخل عليك بأى مما تمسك يدي. "كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد". وكان أباه يقول له أيضاً، إن كنت قد وهبتك كل مالى فلماذا تود أن تحرمنى فرحتى بأخيك الذى كان فى عداد المفقودين وها هو يعود إلينا حياً.

يشرح الأب فى كلمات بسيطة وعميقة جداً لماذا يجب أن يكون كل هذا الفرح والسرور ولاشك كان الأب ينتظر أن يفرح ابنه معه بعودة الضال. لكن للسف فضل الابن الأكبر أن لا يدخل بيت أبيه بل أن يسكن بين جماعة الأخيلة (أم 21 : 16).

- 104 -

ويريد منك أن تكلمه ليُرد بواسطتك إلى الحياة المكرمة. فهل تدعن لصوت الرب أم تأتى المساعدة فتشبه ذلك الابن الأكبر؟ تذكر لم يكن فرحاً على الإطلاق فى أثناء غياب أخيه لأنه لم يبحث عنه ولم يجر الحق "إجراء الحق فرح للصديق" (أم 21 : 15)

ويتكلم الأب :

وهنا تحمل الأب إهانة ابنه وبدأ يتكلم معه قائلاً "يا بنى".. وكانه يذكره بأنه ابنه أيضاً كما الآخر فلا داعى للغيرة.. فيكمل "أنت معى فى كل حين وكل ما لى هو لك" وبدأ وكانه يقول له كل ما لى أمامك لم أخف عنك شيئاً من الخير ولم

- 103 -

ماذا خسر الابن الأكبر

في النهاية

إن الخسارة والمكسب شيئان واردة في كل معاملاتنا المادية وهذا عرف سائد أما إذا ارتفعنا إلى مجال الله فإن الخسارة شيء غريب ويبدو غير مألوف في دائرة الله. إذاً من أين تأتي الخسارة؟ تأتي نتيجة رفض الإنسان الدخول إلى مجال الله "لأن ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها" (لو 9 : 15). وهذا ما حدث تماماً مع الابن الأكبر الذي رفض أن يدخل إلى حضن الرعاية إلى بيت أبيه فبقى خارجاً حارماً نفسه من الدخول والأفراح.

- 105 -

طاعة الجسد أو الانفصال عنه بل إن كل خلية تؤازر جارتها وجيرانها الآخرين في العمل لصالح الجسد ككل. والجدير بالذكر أن رأس الجسد هو مصدر الأوامر لسائر خلايا الجسم وأعضائه وبدون الرأس لا يوجد جسد..

لكن المشكلة هي محاولة بعض الخلايا النوم في خط الخدمة. فكثيراً ما نسمع عن أناس مهملين جداً لا يهتمهم في الحياة سوى المشاكسة والاعتراض لأجل الاعتراض والمشاجرات العقائدية والتناطحات في المنتديات الكنسية والأهم إنها على الجانب الآخر تترك خلفها نفوساً مصابة بالتعثر ونفوساً لا تجد الشبع إذ أنها تهلك بدون وصول كلمة الله لها..

- 107 -

إلا أننا بمعونة الله نود بعض الامتيازات التي يخسرها الإنسان بسبب انفصاله عن الله وذلك عندما نلقى الضوء على ما خسره الابن الأكبر..

1 - خسر نظرة أبيه له :

أ- لأنه تغاضى ..

كان المبدأ السائد في العالم أن كل شخص يكون مهتماً بما له دون النظر لما للآخرين.. لكنه بكل تأكيد لا يصح هذا المبدأ في أمور أخرى وهي الأمور الروحية.. أتعرف لماذا؟ لأنه لا يوجد شيء اسمه انفصال وتفكك في حياتنا السماوية التي نعيشها على الأرض لأننا جميعاً جسد واحد لأننا اعتمدنا بروح واحد وأنت بنا نعمة واحدة وإله واحد.. فلم نسمع عن كل خلية في جسد ما أرادت الخروج عن

- 106 -

هكذا كان الابن الأكبر - لو جاز التعبير - خلية عقيمة لا ينفع لها في بيت الأب.. فهو يرى قلب أبيه يتمزق ألماً وضييقاً لفراق ابنه الذي هو خلية أخرى من جسد البيت.. صار الابن الأكبر يتغاضى ويتغاضى عن لحمه غير عابئ بكلمات أبيه له والتي كانت تحمل الرجاء في أن يذهب ليوحيث عن أخيه المفقود.. مع أنه يحفظ كلمة الرب القائلة "لا يحل لك أن تتغاضى" (تث 22 : 3). إلا أنه أصبح كاسراً للوصية..

حقاً فنحن نحتاج إلى حساسية خاصة نحو الآخرين، هؤلاء الذين أتعبتهم الكورة البعيدة وأرهقتهم رعاية الخنازير.. تذكر "لا يحل" أمر ناه قاطع.. وهنا قد خسر الابن الأكبر نظرة أبيه له لأنه تغاضى،

- 108 -

لكن عظمة قلب الأب لم تجعل هذا الابن يخسر حبه..

ب- تذمر :

قد ذكرت أنفاً كيف أهان الابن الأكبر أباه الحنون بتذمره وبره الذاتى.. وها أنا أرجع بكلماتى إلى أن التذمر يمنع البركة.. بمعنى أنه أحياناً يكون معنا ما هو مناسب لنا جميعاً ويحقق لنا أقصى راحة وإشباعاً لكننا نتذمر ونرى الهواء فى أيدينا.. وهنا يغلق التذمر عيون الإنسان عن رؤية البركة ومن ثم الوصول إليها..

هكذا الابن الأكبر كان له كل ما فى بيت أبيه لكن تذمره وعدم رضائه الحقيقى والذى يتخفى وراء تبعية أسمية كان يدفعه

إلى التبرم وعدم الرضا، ومن ثم الامتناع عن أخذ البركة. كثير منا يتذمر ويكون لسان حاله، الحياة صعبة لا يوجد إلا خبز الكفاف وبعض الإمكانيات المتواضعة فقط على الرغم من أن فلاناً وفلاناً عندهم وعندهم.. ألسنا نحن عبيد الرب، لتعلم أذى أن الخسارة الروحية والتذمر دائماً ما يسيران فى خطين متوازيين.. وكذلك الفوز بالجعالة والشكر معاً..

ج- تكبر :

لعلك تقول إن الاثنين قد تكبرا، الأصغر والأكبر معاً.. نعم ولكنهما كانا فى طريقين متضادين تماماً. الأصغر تكبر وخرج ثم عاد يحمل تواضعاً حقيقياً.. أما الثانى فقد كان متكبراً منذ البداية يميل إلى الجمع بين ملذاته الشخصية ووجوده فى

ليس هناك إنسان أفضل من إنسان لأننا كلنا بشر نجوز تحت ثقل الجسد فكلنا فى احتياج لأن نوجد فى محضر الله..

"وهنا.. لم يرد أن يدخل" لعلك تتساءل بدهشة.. كيف لم يرد أن يدخل الابن؟ هكذا سيضيع ميراثه.. نعم.. سيضيع ميراث الابن.. "وأنا قلت كيف أضعهم بين البنين وأعطيك أرضاً شهية ميراث مجد أمجد الأمم. وقلت تدعينى يا أبى ومن ورائى لا ترجعين. حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت إسرائيل يقول الرب.. ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصياتكم" (إرميا 3 : 19 - 22).

بيت أبيه، هذا التكبير الممقوت دفعه فى النهاية إلى عدم الدخول والإذعان لطاعة أبيه..

أيهما أفضل ما انتهى إليه الأخ الأصغر أم الأكبر؟! بلا شك أن الأصغر قد فهم الدرس ووعاه جيداً أما الأكبر فلم يرد أن يفهم الدرس حتى بعدما خرج أبوه يطلب إليه..

وهنا ينجلي لنا شئ هام وهو أن التكبير يشبه بالوناً مطاطياً يمتلى فوق طاقته بكثير ليكبر ويكبر ثم تأتى لحظة فيها ينفجر.. أصبح الابن الأكبر مقاوماً لأبيه "يقاوم الله المستكبرين" (يع 4 : 6).

وكما قرأت لن يأخذ الابن الأكبر ميراثه إلا إذا عاد ودخل إلى بيت أبيه وقبّل أخاه الأصغر.

2- خسر نفسه:

يمكن أن أتخيل إنساناً يخسر كل شيء لديه ولا يحزن لكننى لا أتخيل إنساناً يخسر نفسه ولا يرتعش احتضاراً عليها. خسر الابن الأكبر أتمن شيء وهو نفسه "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت 16 : 26) خسرها لأنه أبعدها عن شركة حقيقية مع أبيه بدأ في خسارتها منذ وقت طويل حتى الوقت الذي لم يرد فيه أن يدخل إلى البيت.. وقد أسلفت أن الإنسان كالخلية والخلية إن انفصلت عن الجسد تموت وتخسر حيويتها..

- 113 -

أخي. إن كان هناك شخص قد أساء إليك أو قد تشعر أنت أنه فعل بل شيئاً ليس في محله.. فمن الأفضل لك أنت أن تسامحه..

لا تعتقد بأنك بعدم سماحك وعدم غفرانك له تعاقبه، بل في الحقيقية أنت تعاقب نفسك دون أن تدري فعدم غفرانك يسبب عدم غفران الله لك.

3- نال تأديب عصيانه :

لم يتوقف الأمر لدى الابن الأكبر على خسارته لنظرة أبيه ونفسه بل نال تأديباً خاصاً بالعاصين المتمردين، فوجوده في خارج دائرة أبيه الروحية عقاب كبير في حد ذاته، وكلمة الله لم تدعنا نخمن مثل هذه الأمور بل يقول الوحي المقدس

- 115 -

نعم لم يغفر الابن الأكبر لأخيه ولم يسامحه على تركه البيت وهجرته له ولا لأبيه بل لم يتوقف ظن الابن الأكبر عن ذلك بل قد اعتقد أنه أفضل بكثير جداً من أخيه الأصغر "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوى أيضاً"، "اغفروا يغفر لكم" (لو 6 : 37).

وهذا ما أسميه بـ (الانتحار الروحي) لقد كان الابن الأكبر في محك قوى.. إما أن يقبل أخاه وإما أن يدخل، علماً بأنه بعدم موافقته على الدخول إنما يوقع على أمر بإعدام نفسه بنفسه.. ولكنه ليس إعداماً فورياً بل إعداماً بطيئاً مميتاً إلى الأبد..

- 114 -

"يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك فاعلمي وانظري أن تركك الرب إهك شر ومر وأن خشيتي ليست فيك يقول السيد رب الجنود" (إرميا 2 : 19).

أخي لا تعتقد أن البعد عن الله شيء سهل وكذلك التقرب إليه.. ففي الأولى تجد كبرياء تتعظم وتتصلف وفي الثانية كبرياء تتحطم وتنحني وهما طريقان متضادان لا يتقابلان أبداً..

إن كنت مازلت بعيداً عن الرب وقد انفصلت بشركتك عنه فعد إليه حالاً بقلب متضع نادماً تائباً طالباً منه أن يغفر لك كل ذنوبك.. فهو سيقبلك وسينسى كل خطاياك وتعدياتك السالفة في حبه.

- 116 -